الجانب الحضاري في القرآن

ميزان العقل

للدكتور عبد الفتاح محمد سلامه

العقل هو تلك الجوهرة الفريدة، والدرة الثمينة، التي تميز بها ابن آدم عمن سواه ... وبتركيبها فيه أصبح إنسانا يمثل عالما مستقلا في كون الله الكبير ... له جوانبه الباهرة، وابداعاته الرائعة.

والقرآن المجيد ـ وهو كتاب ربنا ومعجزة محمد نبينا ـ يدعو الى النظر في جنبات ملكوت الله الشامخ، والتغلغل في أعماقه، لاستبطان أسراره، والوقوف على نواميسه .... وهو يخاطب العقل الانساني، ويتوجه اليه أن يعرف مكانته اللائقة به، ويدرك وضعه الصحيح، وهو وضع القيادة والزعامة، والابداع والاستكشاف، والتحليق والصعود ... وبذلك يصل العقل إلى مستواه الرفيع، ويبلغ غايته المنشودة، ويتسنم ذروة الاشراقات، فيصبح حريا بأن يتلقى عن ربه الفيوضات، هابطة عليه من عالم العلويات .... ويرحم الله من قال مخاطبا الانسان، ومتحدثا عن اللطيفة الربانية فيه:

دواؤك فيك وما تبصر
وداؤك منك وما تشعر
وتزعم أنك جرم صغير
وفيك انطوى العالم الأكبر

آجل! فما الانسان بدون عقل؟ وما الآدمي بلا إدراك أو وازع؟
إن إنسان هذا الكوكب الأرضي إذا انسلخ من عقله، وتمرد على وازعه، وطمست منه معالم بصيرته، ورانت عليه الظلمات ... فأخلق به أن يكون لصيقا للعجماوات، مندرجا في زمرة

المخلوقات التي سلبها الله هذه المميزات ....

« قد رشحوك لأمر لو فطنت له
فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل »

واذا كان العقل يعنى في لسان اللغة : المنع والحبس .. فهو من قولهم : عقلت لساني : إذا منعته من الكلام ، وعقلت بعيري : إذا ربطته وقيدته فمنعته بذلك من الأبوق والضياع ... فان قيمة العقل بالنسبة للانسان تصبح جليلة الأثر عميقة المغزى ، حيث تغدو سلطة مراقبة ، وقوة صارمة ، وتتحول إلى ناقد بصير ، ومحاسب عسير ، يتفقد سير الانسان ، لا يريم عنه ، ولا يتغافل عن وجوده ، بل إنه يحصى عليه همساته ، ويستمع إليه في خلواته ، ويهتك عليه أستار نجواته .... فهو معه كظله ، وملازم له كقدره ....

ومن هنا يغدو الانسان ويروح ، وهو في حراسة العقل ، في معيته للاحبة ، وفي ظلال دوحته الفينانة الباسقة ، واذا كان الأمر كذلك ... فان العقل في الانسان كل شئ .... به يفكر ، وباشعاعه ينظر ويتأمل ، وعلى نوره يسير ، وبهديه يهتدي ، وبالهاماته يميز بين الخبيث والطيب ، ليواصل مسيرته في طريق ذلول ليس خشنا ولا مضرسا ، انما هو ممهد مملس ....

والمعنى الناجم عن كل هذا ، هو أن صاحب العقل وذا الحجا يجب أن يربأ بنفسه عن التفاهات ، وينأى بعقله عن الدناءات ، ويتسامى به عن الصغارات .... فلا يميل مع الهوى الخانع ، ولا يستسلم للتقليد الذليل ، ولا ينبغي أن ينساق وراء الأفكار المريضة ، ولا يعيش عبدا للعادات الضالة ، ولا يسالم الخرافات أو يهادن الأوهام ... بل المفروض أن يدك منها المعاقل ، ويأتي على بنيانها من القواعد .... وهو بذلك يتكامل في وجوده ، ويتساوق مع وظيفته ، ويتلاقى مع طبيعته المنوطة به ... فان الله تعالى خلق العقل للانسان ليكون وسيلة الهداية ، وسبيل الفلاح ، وقمة السعادة ، وموطن العزة ، ومعقد الشرف ، ومبعث الفخر ، فبه يستقبل الانسان عن ربه ، وبه يتعرف على وحيه ، وله يتوجه الرسل الكرام عليهم الصلوات بالخطاب ، فيدرك توجيههم ، ويقف على إرشادهم ، ويتفاعل مع دعواتهم ، واذا به يتحول بعد ذلك إلى منافح عن الأديان ، مسهم في تشييد صروح الايمان ، والعقل إذا ما كمل نوره ، وتوقد اشراقه ، وسطعت في سمائه الرقراقة الصافية امارات الحقيقة الباهرة ، التي تجردت من الغيوم ، وتنزهت عن الأوضار والأدران ، العقل حينذاك يقبل عليها في شغف ، ويجاهد في سبيل التمكين لها ، حتى ولو أزهقت منه الروح ، فان الموت في سبيل الحقيقة أمنية غالية ، وأنشودة معطرة ، يحرص عليها عظماء الرجال ، وأفذاذ الأجيال : وقديما أرسلها « أرسطو » عبارة مدوية كالاعصار ، لا يجامل فيها ولا يحابى ، ولا يدارى ولا يداجى ... لقد قال بمنطق لا يعرف الضعف أو التردد .... « أفلاطون حبيب إلى نفسى بيد أن الحقيقة أحب الي من أفلاطون .... » ...

واذا شئت مثالا من التاريخ ، فانه يخبرك بلسان صدوق عن قوم بهرتهم الحقيقة المضيئة ، فتعلقت بها افئدتهم ، وهانت في سبيلها أرواحهم ، وسالت بسببها على ظبا السيوف وأسنة الرماح حياتهم ، ولم تحل بينهم وبينها النار المشبوبة الأوار ، بأتونها المستعر وجحيمها المهول ..... تروى بعض كتب التفسير : « أن ماشطة بنت فرعون وقع منها المشط بينما هي ترجل شعر ابنة هذا الطاغية ... فتناولته الماشطة وقالت : باسم الله تعس فرعون .... فحملقت البنت في وجه الماشطة وقالت لها : ألك اله غير أبي ؟ فقالت المرأة : نعم . ربي وربك ورب فرعون هو الله ... فقالت البنت : أفأخبر أبي بذلك ؟ فقالت المرأة : نعم .... فأخبرت الفتاة أباها .. فأمر الطاغية فأحضرت المرأة هي وزوجها وأولادها ، وكان لها طفل رضيع ... ثم أمر فرعون بالنار فأوقدت وحمى وطيسها .... ووقفت المرأة وزوجها وأولادها على حافة النيران في موقف تنخلع له قلوب الرجال ، وتتخاذل منه همم الأبطال ... وقفوا وقفة شجاعة صارمة أبية متعالية متعاظمة ... وأخذوا يلقونهم في النار واحدا اثر واحد غير هيابين ولا وجلين ... ذلك لأنهم أبصروا الحقيقة في سموقها وشموخها ، فامتلأت بها نفوسهم ، وضحوا في سبيلها بأرواحهم ، فلقد ملك الحق عليهم أقطار حياتهم ، فكانوا يستصغرون في سبيل كل شئ حتى الموت ..

وما لنا نذهب بعيدا ؟ إن تاريخ أصحاب سيد الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم زاخر بصور للبطولة تنحنى لها هامات الرجال في كل مكان ، وذلك من أجل الحق الذي عرفوه بعقولهم ، ولمسوه دانيا قريبا بفكرهم الثاقب اللماح ... والمثل على ذلك : ياسر وسمية وعمار وبلال وصهيب .... وغيرهم ممن وقفوا وقفات شجاعة تحدوا بها الجبارين والطغاة ، واستهانوا فيها بالموت تتراقص امامهم أشباحه .

(من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا . ليجزى الله الصادقين بصدقهم) الاحزاب/ ٢٣ و٢٤ .

نقول : ان العقل معيار سليم للانسان يحتكم اليه ، ومقياس صائب يقيس به الأمور في دقة ، ويحكم على الأشياء في إنصاف .... فغايته النبيلة أن يحفظ صاحبه من السقطات ، ويصونه من العثرات ، ويرفعه من الوهدات ، وأن يرسم له حياة سداها العزة ، ولحمتها الهداية ... حتى لا تتبدد به السبل ، ولا تميد به الخطى ، ولا يقع في متاهات مقفرة أو يسير في بلاقع مهجورة ... ولا نعرف دينا رفع من شأن العقل ولا شريعة أزكت من مواهبه ، وقدرته حق قدره ، كدين الاسلام وكشريعة الاسلام ..

واذا تحدث الله عن قوم في معرض الشرف والفخار ، وفي مجال الاعزاز

والتكريم وجدت القرآن يبرزهم لك في لوحة تقطر سموا، وتتلألأ إشراقا، وتعبق شذى لأنهم يملكون عقولا راجحة، وأحلاما راشدة، وهو في كل ذلك يسميهم هذا الاسم الجميل، ويطلق عليهم أنهم (**أولو الألباب**) أي أصحاب العقول ...

فلتصغ أذنيك للكتاب العظيم وهو يحكى سيرة هؤلاء الأمجاد ... قال تعالى :

« **إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار . ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار . ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار . ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد .** » آل عمران/ ١٩٠ ـ ١٩٤ .

أرأيت إلى هذه المناقب وهاتيك المفاخر التي خلعها القرآن عليهم ؟ وحلى بها أعناقهم ؟ إنها لم تأتهم عبثا، ولم يملكونها بطريق العشوائية، ولا هبطت عليهم بمحض الصدفة، كلا ثم كلا .. إنما انقادت لهم هذه الصفات، وأعطوا تلك المرشحات، وأمسكوا بعنانها، وطوعوا أزمتها ... لأن الله وهبهم ألبابا مشرقة البهاء، باهرة الضياء، ومن عليهم بأبصار حصيفة، وبصائر لطيفة ... فتعقلوا الأسرار، ودققوا الأنظار، فتعرفوا إلى الله الواحد القهار، فاذا بألسنتهم تفيض بهذا الدعاء، واذا بقلوبهم تهتف بذاك الثناء، وهو ثناء كله تمجيد واطراء، لربك الذي يخلق ما يشاء ... والى كل من له بصر حديد، نسوق هذا القول السديد، من الكتاب الرشيد، حيث يقول الفعال لما يريد : (**إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .**)ق/ ٣٧ .

إذن العقل : ضوء كاشف، ونجم متألق، وكوكب وضاح، يرشد السارين في الدلجة، وينتشل الحائرين من الوهدة، ويبصرهم بالحياة، ويفتح عيونهم على جوهرها الثمين، فتتحول بعصاه السحرية من حياة هزيلة عابثة، إلى حياة جادة هادفة، تحلق فيها الآمال الشامخة، وتكسوها الأماني الشريفة، فيندفع الانسان إلى اقتحام ميادين الرجولة، ليشرف منها على عالم القيم والمثل، والعظائم والأمجاد .

على قدر أهل العزم تأتي العزائم
وتأتي على قدر الكرام المكارم

فالعقل ميزان الانسان الذي لا يخيب، وجواده الذي لا يكبو، على شريطة أن يستظل بظل الدين، ويعيش في معيته، ويتضمخ من عطوره .. وبذلك يسلس قياده، وتتقدم مسيرته على درب الحياة الرشيدة السديدة .

الانسان في زمالة العقل

قال تعالى :
(ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا .) الاسراء/ ٧٠ .

وتسألنى بربك : لم كانت للانسان هذه السيادة ؟ ولم آلت اليه تلك الزعامة ؟ ولم اختص وحده بهاتيك الوضعية الفريدة ؟

وإن الاجابة على تساؤلك لن تعوزنا الى مزيد من الوقت ، او بذل شئ من عناء الفكر .... فالانسان فضل على غيره ، وتميز عمن عداه ... لأن الله أودع فيه جوهرة لطيفة هادية كاشفة ، وأعنى بها « العقل »... فهو يمثل النور الساطع ، والكوكب الوضاح ، والنجم المتألق الذى يأخذ بيد الحائرين في دياجير الظلام ، وينتشلهم من الحياة المهينة العابثة الى الحياة الجادة الهادفة ... ومن هنا فان العقل للانسان ميزانه الذى لا يخيب ، وجواده الذى لا يكبو ، على شريطة أن يستظل بلواء الدين ، ويعيش في معيته ، ويتضمخ من عطوره ، وبذلك يسلس قياده ، وتتقدم مسيرته ...

وإذا كان الانسان يحتوي في تركيبه على نزعة من النزعات الالهية ، ويستضئ في تكوينه بقبسة من القبسات العلوية ... فانه بهذه النزعة ، وتلك القبسة تجده متطلعا الى الكمالات ، وثابا الى المعالى والمكـرمات ... مهما تكبد في سبيلها من تضحيات ، وتجشم من أعباء وصعوبات ...

ولقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال :
« إن الله تعالى قد خلق آدم على صورته »... رواه البخارى ..

إذن الانسان ليس هو هذا الغلاف الطينى الذى نراه ونحسه ، وليس هو هذا التركيب الفسيولوجي الذى يحوم حوله علماء المادة وأساتذة التشريح ، ولو كان ابن آدم محدودا بذاك الاطار الشكلي الفانى ... ما أصبح هناك فرق بينه وبين أى من المخلوقات الاخرى وما اكثرها ... لكن حقيقة الكائن الانسانى انه يحمل بين جوانحه ، ويزخر في أعماقه الدفينة بسر خطير عجيب ... هو من صنع الله الخالق ، ومن ابداعاته البديعة ، ومعجزاته الباهرة في الايجاد والتكوين .. **(الذى أحسن كل شئ خلقه)** ..السجدة/ ٧ **(لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم)** التين/ ٤ ..

ويعجبنى في هذا المقام كلام للامام الشهيد « حسن البنا »... يميط فيه اللثام عن المخلوق البشرى الذى توجه الله بتاج العقل ، وكيف أصبح مستحقا للتكريم دون سائر الموجودات الأخرى ، بما في ذلك الملائكة الأطهار ، وذلك انما تم له عن طريق السر الالهى الذى هبط عليه من المحل الأرفع .. قال رحمه الله :

« الانسان في شكله المادى قد خلق على غير مثال سابق عليه ، وليس متسلسلا من غيره كما يقول بعض علماء الحيوان .. ولكن هناك مذاهب مادية تفند ما ذهب اليه القائلون بتسلسل الانسان من غيره ، إذ اعترف « دارون » نفسه بأنه لم يستطع أن

يعرف سر الحياة ، واعترف بأنه كلما تعمق في بحوثه هذه أدرك ان اصل الحياة هو الله تبارك وتعالى ... اما كيفية الخلق ... فلم يفصلها القرآن الكريم ، ولم تعرض لها السنة في آثار مفصلة ، ولكن ما نؤمن به هو انك أيها الانسان بمادتك فقط دون روحك جزء من الأرض التى أنت عليها ، وانك لست نوعا من أنواع الحيوان يتغير حسب بيئته ، وأن ما يتعلل به زعماء المادية وعلماؤهامن شبهات في هذا الأمر ... انما هو مجرد فروض افترضها علماء الحيوان ...

ثم يقول : انك يا أخي لست هذا الغلاف الطينى ... لست هذا الغلاف اللحمى ... ولكنك خلق من روح الله ... لم تكن قبله سوى قبضة من الطين ، وأنت بعده صرت بشرا سويا ، فأنت بذلك كائن من كائنات الملأ الأعلى ، لأن إنسانيتك لم تتكون ولم تكن تتشكل الا بعد أن نفخ الله فيك من روحه ، اما حقيقة هذه الروح وماهيتها وكنهها وسرها ، فلا شأن لك بها ... وانما يكفى ان تعلم ان هذه الروح عنصر ربانى ، وأن كل ما يتصل بالله عز وجل فهو اكبر من تفكير الانسان .. »..

وكون الانسان مشتملا على هذه النفخة من روح الله الكبير المتعال ، فقد أمرت الملائكة الكرام بأن يسجدوا له ، سجود تعظيم وتوقير واعتراف بالفضل ، وعلى هذا فالانسان لدى ربه أعظم من الملك ، لو انه حقق انسانيته ، وصان آدميته ، والقرآن يوضح ان الملائكة سيكونون في خدمة الانسان المؤمن يوم القيامة ، لأنهم عباد الله وخلق من خلقه ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ... وهناك ميزة تفرد بها الانسان دون الملائكة هى : أن التجلي الالهى عليهم تجل من ناحية واحدة .... ناحية الطاعة .... اما تجليه سبحانه وتعالى على الانسان فهو أعظم لأنه تجل من ناحية الاختبار ....

ولا شك أن وضع التفضيل هذا ، قد خلق نوعا من الحساسية الشديدة بين الانسان والشيطان ، وأن الموجدة عصفت بالثانى على الاول ، ومن هنا فان هناك نوعا من العداوة الشديدة والكراهية الملتهبة قد نشبت بين الطرفين ، فكلاهما في حالة صراع دائم ومستمر ، وقد حذر الله الانسان من عدوه اللدود ، الذى يتربص به الدوائر ، ويبغى من وراء ذلك شقاءه وتعاسته ، لأنه ينفس عليه تكريم الله له وإعزازه إياه ،... فقال في مواضع كثيرة منها : **(قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو)** طه/١٢٣ .. **(إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير .)** فاطر/٦ .. : **(ألم أعهد إليكم يابنى آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين . وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم .)** يس/٦٠ و٦١ ..

وعندما نترنم نحن بهذه الحقيقة القرآنية المسطرة في كتاب ربنا العزيز والتي تقول : **(الذى أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الانسان من طين . ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين . ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون .)** السجدة/٧ – ٩ .. فاننا نحس بشئ غير قليل من الزهو العاقل ،

والرفعة المتواضعة .. لأنها تقرر أن الانسان من الكائنات العلوية ، نشأ في الملأ الأعلى ، ثم أهبط على الأرض اختيارا ... ثم إنه الى هذا المقر والمكان والموطن العلوى سيعود اذا عرف طريق الرجوع ... ورحم الله من قال : « حى على جنات عدن .. »..

وإذا كانت وجودية الانسان منتمية إلى الملأ الأعلى ، فانه في ذات الوقت له الخلافة في الأرض : **(وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل في الأرض خليفة)** البقرة/ ٣٠ .. فالأرض قد طوعها الله للانسان ، وسلمها له ، وذللها تذليلا ، ودوره فيها ينطلق من تعميرها وتطويرها بالحق والعدل ، لا تخريبها وتدميرها بالعبث والفساد .

ثم هو مسلط عليها ، والكون كله مسخر له : **(وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض)** الجاثية/ ١٣ .. فالانسان إذن خليفة منتدب على ظهر هذه البسيطة ، قد سخر الله له فيها كل شئ حتى يؤدى مهمته المنوطة به في مثالية واخلاص ... تلك هى منزلته بين الكائنات .. له السيادة والرئاسة ، والزعامة والريادة ، والتوجيه والتسلط ، والتسخير والتطويع ، فهو سيد الكائنات بعقله ، وأفضل الموجودات بادراكه ... تلك سنة الله في خلقه ..

وقد يتساءل بعض الناس : ماذا عن الانسان بالنسبة للانسان ؟

والقرآن العزيز لا يدع هذا التساؤل ينساب حتى يسد عليه المسالك والشعاب ، ويوصد في وجهه السدود ، ويغلق عليه الحدود ... فيبادر الى الاجابة القاطعة ، التى تبدد كل حيرة ، وتزيل كل ارتياب .. إنه يقول في وضوح :

(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ..) الحجرات/ ١٣ .

لم يخلق الله الأمم المبثوثة هنا وهناك ، والقبائل المختلفة ، والشعوب المتباينة لتتنافر او تتناحر ، وانما جعلها عز شأنه لتتعارف وتتعاون في وحدة واحدة ، وفي تآلف أليف ، فنسبة الانسان للانسان ، والوشيجة المتينة التى تربطه به هى الأخوة ... الانسان أخو الانسان ... على اساس نسبته كانسان الى الله تعالى .. وهذه الصلة الفذة عبر عنها القرآن في دقة وشمول وشفافية فقال : **(وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ..)** الذاريات/ ٥٦ .

وقد يقودنا هذا المنعطف الكلامي الى الحديث عن الروح الانسانى والقلب الانسانى ، باعتبار انهما مرادفان للعقل الانسانى ، إذا حكمنا المقاييس الدينية ، ومنحناها سلطة الفصل في هذه الشئون .. وذلك حق وصدق ... فالروح في الواقع لب الانسانية ، ومعقلها الحصين ، بل هى الجهاز العجيب الذى يمدها بالهواء والقوة والحرارة ، وهى لذلك تقع موقع القلب من بحثنا هذا ... وقلب الانسان هو عقله الذى يحركه ، وهو منارته الهادية ، ومشكاته المضيئة ، والبلسم الشافى الذى يطب الجروح ويبرئ السقام ...

ولنزد الأمر وضوحا وجلاء فنقول :

ان للانسان تكوينا روحيا ، حيث إن الله نفخ فيه من روحه ، حقيقة هذه الروح لا تعنينا ، فالباحثون عن ماهيتها يؤوبون بخفى حنين ، ويسيرون في سراب خادع ، بل ما أشبههم بمن يحرثون في البحر .. لأنها منطقة حرام ، وما أعطى ربنا لأحد إذنا أن يستبيح كلأها ، او يتطاول على مقامها المنيف ، بل إنه أمر رسوله الحبيب عليه الصلاة والسلام أن يجيب السائلين عن الروح بأنها من أمر الرب الجليل : (**ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا .**)الاسراء / ٨٥ ..

والقرآن الكريم بهذا يضع حدا للعقل البشرى حتى لا يشتط في مباحث الروح ، ولا يطمع فيما ليس له ... وتلك لفتة بارعة منه تمثل إشارة ضوئية لساحة تهدى الى سواء السبيل كلما انحرف العقل فتوزعته الدروب والمنعطفات .. ولا يعنى هذا أن الذكر الحكيم يفرض الحجر على العقول الباحثة .. كيف وهو الدستور الذى رد الى العقل كرامته المهدرة ، وفتح امامه الطريق ، وقاده في سياحة لطيفة في الأجواء والآفاق في ملكوت الله الرحيب ؟؟

إن هذه الآية توجه العقل الانساني بادئ ذى بدء الى مافيه الخير والفائدة ، وتصرفه عما لا طائل تحته ولا غناء فيه ، وذلك أنه سبحانه يعلم طاقة العقل ، لأنه الذى خلق فسوى وقدر فهدى ، وهو أعلم بما ينفعه وما يشقيه ، وأعرف بطاقته واحتماله ، فاذا صرفه عن أفق فلمصلحته ولنفعه ، وليظل دائما متجها الى ربه يتلقى عنه ويستقى من ورده الطهور ..

نعم : ولتكون هناك دائرة شائكة لا يعرف العقل البشرى كيف يقتحمها ؟ فيظل عارفا قدر نفسه – وقدر ربه عابدا إياه مستلهما منه علم مالا يعلم – موصولا به في كل وقت ، وعندما يصرح الكتاب الماجد بأن الروح من أمر الله فأى مطمع لنا بعد هذا ؟ وعندما نتبصر هذا التعقيب اللاذع : (**وما أوتيتم من العلم إلا قليلا .**) الاسراء/ ٨٥ فلابد أن نعرف ما إيحاؤه ؟ وما هدفه ؟ أليس هو الحد الفاصل بين ما يسوغ لنا علمه ومالا يسوغ ؟ وبين ما يجوز لنا بحثه ومالا يجوز ؟

وسيظل علمنا قليلا ضئيلا مهما ارتفعنا في الجو وغزونا الفضاء ووصلنا الى القمر ، واخترعنا الذرة والصاروخ !!! وكفى بنا جهلا أن نجهل حقيقة أرواحنا ...

إذن على العقل أن يصول ويجول ، ويروح ويغدو ، ويقدح زناد الفكر ، ويتألق بعبقريته في المجالات القريبة من استعداده ، وهى مجالات زاكية قدسية لأنها تربطه بحبل الله المتين ، وتضفى عليه هالة من النقاء والصفاء ، وتلكم المجالات بعينها هى التى تقود خطى العقل ، وتواكب زحفه المقدس في مسيرته الكافرة نحو التقدم الحضارى الصاعد المأمول .